القصيدة التى فجّرت ثورة

مع أول القرن الثامن الميلادى جاء العرب إلى الأندلس ، ومع نهاية القرن العاشر أصبح بهم دولة مرهوبة الجانب ، مركزية السلطة ، يسودها الأمن ، وتفيض بالخير: الحقول خضراء زاهية ، والبيوت أنيقة مريحة ، والحمامات كثيرة ونظيفة ، وأنظمة الرى دقيقة ومحكمة ، والأقوات موفورة بأرخص الأسعار ، ويتحرك الناس فى صحة بادية وملابس نظيفة ، وانكمش الفقر أو تلاشى .

وقد صنع هذا المجد عربيان عظيمان ، كان الأول خليفة ، وهو **عبد الرحمن الناصر** ، وكان الثانى حاجبا أو رئيسا للوزراء فى لغتنا المعاصرة ، وهو **المنصور بن أبى عامر** .

وكما تكون إنجازات العباقرة عظيمة تجىء أخطاؤهم من نفس المستوى .

وكان الخطأ الذى وقع فيه الاثنان ، والتبعة على الأول أكثر ، لأنه الذى بدأ والثانى سار على طريقه . أنهما لينفردا بالأمر ، ويتمكنا من السلطة ، أتيا على النفوذ العربى تماماً ، استغنيا عن أبناء البيوتات ، وأذلا كبار الرجال فيها ، واستعاضا عنهم بولاء الرقيق من الصقالبة ، والنازحين من الأفارقة ، وأولئك ولاؤهم مأجور ، وهؤلاء إحساسهم بالوطن واهن ، ولم يكن للقاعدة العريضة من الجماهير دور طليعى على أيامهم ، ولا قبلها ، لا فى الأندلس ولا فى غيره . نعم كانوا مادة مهيأة للثورة ، حين يبلغ السوء مبلغه ، وتنحدر الحال إلى قدر لا يحتمل ، ويجىء الزعيم المنتظر ليقودها ، فى الحال تلبى نداءه ، وتصطف وراءه ، وتمضى معه بلا تردد إلى نهاية الطريق .

حين توفى **المنصر بن أبى عامر** خلفه ابنه من بعده ، وكان دون أبيه قدرة وموهبة ، ولم يبق غير سنوات قليلة ثم لحق به ، وكانت هذه السنوات

القليلة كافية لكى يتجمع كل أولئك الذين يريدون أن ينقضوا على السلطة ، يريدونها لهم ، أو لأناس يرضون عنهم ، وتحول الأمر إلى فوضى . وكل الذين فى الأندلس بدأوا يتقاتلون لغير سبب ، أو لسبب أنانى مفرط فى الأنانية ، يهجمون ويرتدون وخلال التقدم والانسحاب يدمرون وينهبون ، حتى عاد كل شيء أسود قاتماً فى العين وفى الأمل ، وخرائب وأنقاضاً فى الواقع وفى الحياة . وماتت الضمائر فى النفوس ، وانحلت عقدة الولاء للجماعة ، واستبيحت كل الحرمات ، وانقض كل خوّان على جانب من الدولة ، وأعلن نفسه أميراً ، ووسط هذه المصائب تميزت طائفتان — إن كان مثل هذا يعد تميزا — هما : الفقهاء يقدمون لكل حادث فتوى ، ولكل جريمة مبرراً ، وفى خدمة الأقوى دائماً . والشعراء يتغنون بمن يدفع أكثر ، ولمن يقدم رفاهية أعظم ، وتحول الفن الجميل والنبيل على أيديهم إلى سلعة تباع وتشترى ، وغرقوا فى الأنانية فأخذوا يدورون حول أنفسهم غزلا وخمراً ومديحاً . وفى جو كهذا أمسك الخيرون بأنفسهم ، وتواروا خجلا ، أو هاجروا إلى أرض بعيدة ، أو دفعوا الثمن معاناة وسجنا وقتلا .

واهتزت السلطة المركزية ، وتهاوت الخلافة، وسطا على أمجادها مجموعة من السفهاء ، وقام على أنقاضها قرابة ثلاثين من الأمراء ، يتقاتلون طمعاً ، ويتدافعون حول أشبار ، ويعلنون الحرب من أجل أمتار ، ويدفعون كلهم الجزية للعدو الرابض على الحدود وهم صغار ، ولم يكن بأقوى منهم لو اتحدوا .

وقد ورثوا فى كل مكان ذهبوا إليه أمجاد الأمس الباذخة ، ولم يضيفوا إليها جديداً ، ومضوا يبعثرون فيها بلا حساب ، شأن السفيه حين يتلقى ثروة لم يبذل فيها جهداً ، ولا كلفته مشقة . وتحول الأندلس على امتداده العريض إلى مجتمع مستهلك ، ينفق فى بذخ دون أن ينتج شيئاً ، أو ينتج شيئاً قليلا لا أهمية له ، ونفق المجتمع بأولئك الذين يستطيعون أن يدغدغوا عواطف المستهلكين

ببيت رقيق من الشعر ، أو بوصلة جميلة من الغناء ، أو بلحن موسيقى آسر ، أو بحركة راقصة فاتنة ، « وفاضت رغبات الناس الجنسية ، وتجاوزت ماهو مقبول عرفاً وعادة ، ولم يعد حب المرأة رغم شيوعه ويسره كافياً ليوقف اندفاعهم ، من أي وسط كانوا ، وإلى أية طبقة انتموا ، نحو اتجاه آخر تنحرف فيه العاطفة عن مسارها الطبيعي » (١) .

كان هؤلاء الأمراء ، أو الملوك الصغار ، على عهد الطوائف ، كما يسمون تاريخاً ، ينتمون إلى شتى العناصر التى استوطنت الأندلس . وتميز كل أمير منهم بمزاج خاص ، « فامتاز المتوكل صاحب بطليوس بالعلم الغزير ، وابن ذى النون صاحب طليطلة بالبذخ البالغ ، وفاق ابن رزين صاحب السهلة أنداده فى الموسيقى ، واختص المقتدر بن هود صاحب سرقسطة بالعلوم ، وبز ابن طاهر صاحب مرسية أقرانه بالنثر الجميل المسجوع . أما الشعر فكان أمراً مشتركاً بينهم جميعاً ، يلقى منهم كل رعاية ، ولكن عناية بنى عباد أصحاب إشبيلية الجميلة به كانت أعظم وأشمل . « وفى أثناء ذلك كله كانت قرطبة النبيلة تحتضر ، وكان البربر أصحاب السلطان فى جنوبى الأندلس قد عقدوا الخناصر مع اليهود ، وقلّ وفود العناصر المشرقية على الأندلس ، وانصرف نفر من أهل الأدب إلى تأليف مجموعات فى جيد الكلام من نظم ونثر ، ومضى الناس فى نظم الموشحات . ولكن أكثر ما انصرفت إليه الملكات هو قرض شعر حديث على طريقة القدماء ، ولدينا من ثمار قرائحهم آلاف من الأبيات . لقد أصبح أهل الأندلس كلهم شعراء ! ، حتى قال القزوينى : إن أى فلاح يحرث بأثوار فى شلب يرتجل ماشئت من الأشعار فيما شئت من الموضوعات . ومضى الشعراء يقطعون الأندلس طولا وعرضاً ، ينتجعون قصور الأمراء حيث يظفرون بالمأوى والصلات ، ويحضرون مجالس أصحاب الأمر ، وتدرج أسماؤهم فى سجلات الدواوين ، وتخلع عليهم وظائف التدريس » (٢) .

ومن بين هؤلاء جميعاً يهمنا أن نقف عند بنى زيرى الصنهاجيين ، وكانت غرناطة من نصيبهم ، وكانوا فيها الأمراء والقادة .

* * *

جاء الصنهاجيون إلى الأندلس بعد خلاف وفتن ومعارك جرت بينهم فى أفريقية ، فكتبوا إلى المنصور بن أبى عامر يستأذنونه فى الجواز إلى الأندلس للجهاد فى سبيل الله ، فأذن لهم ، وعبروا بزعامة زاوى بن زيرى ، فأكرمهم المنصور وأنزلهم منزلا حسناً ، واتخذهم جندا له وعوناً ، ونظمهم مع زناته وسائر بطون البربر الأخرى ، وقويت شوكتهم فى أواخر أيامه ، وفى أيام ولديه عبد الملك وعبد الرحمن ، ورجحت كفتهم فى الجيش ، وحين سقطت الدولة العامرية شاركوا فى الفتن التى تلتها غنما وغرما ، ولعبوا دوراً بارزاً فى تدمير قرطبة ، خلال ماعرف بفتنة البربر عام ٤٠٣ هـ — ١٠١٣ م ، فقد اقتحموها فى مناظر مروعة من العبث والسفك والنهب ، وأتوا على مدينة الزهراء الرائعة الجمال بأكملها . وقد رأى الخليفة المستعين أن يفرق البربر فى الكور والثغور ، تخفيفاً لضغطهم على العاصمة ، فأقطع قبيلة صنهاجة وزعماءها من بنى زيرى ولاية إلبيرة .

ولما رأت صنهاجة تفكك الدولة ، واستقلال كل أمير ببلده ، عزموا على الرحيل عن الأندلس ، والجواز إلى العدوة ، ولكن أهل البيرة وكانوا فى بسطة من الرزق والثروة ، وسعة من الأرض وخصبها ونمائهما ، دعوهم إلى البقاء معهم ، ومشاركتهم مايملكون ، على أن يتولوا الدفاع عنهم ، وقبل زيرى وقومه دعوتهم ، وطابت لهم الإقامة فيها ، وتعلقوا بها ، وقر رأيهم على الدفاع عنها ، ثم رأوها لا تصلح للدفاع ، فابتنوا فى البسيط الواقع على مقربة منها مدينة جديدة ينزلون بها ، وتكون معقلهم ، وهكذا قامت مدينة غرناطة ، على حين خربت إلبيرة ، وعفت ربوعها ولفها النسيان ، ونمت المدينة الجديدة سريعاً ، وأصبحت العاصمة ، وسوف تكون آخر مدينة تسقط فى يد الأعـــداء (٣) .

على أن زاوى قرر العودة إلى أفريقية ، على الرغم من معارضة ولده ووجوه قومه ، وخرج عن غرناطة فى أهله وأمواله مستخلفاً عليها بعض شيوخ قبيلته ، ثم سعى ابن أبى زمنين قاضى غرناطة فى أن يعين **حبوس بن ماكسن** ، ابن أخى زيرى ، والياً على غرناطة ، ويشيد ابن حيان ، وعاصر هذا العهد ، بخلال حبوس ، وأنه على قسوته « يصغى إلى الأدب ، وينتمى فى العرب ، للأثر المقفو فى قومه صنهاجة ، وكان وقوراً حليماً ، فظا مهيباً ، نزر الكلام قليل الضحك ، كثير الفكر ، شديد الغضب ، شجاعاً حسن الفروسية ، جباراً متكبراً ، واسع الحيلة ، كامل الرجولة ، له فى كل ذلك أخبار مأثورة » (٤) .

أصعب ما واجه أمير غرناطة أن يجد وزيراً أول صالحاً ، فى مستوى وزراء جيرانه من الأمراء ، أديباً قادراً على تحرير الرسائل التى يبعث بها الأمير فى لغة عربية راقية ، مسجوعة وذات أسلوب بليغ . ولم يكن يثق فى قومه البربر ، فهم يعرفون جيداً كيف يقاتلون ، ويستولون على المدن ، وينهبونها أو يحرقونها عند الضرورة ، ولكنهم عاجزون عن الكتابة فى لغة عربية فصيحة . وهو يخاف العرب ، وقد تكون لهم مصلحة فى بيعه وخداعه ، فبدأ يبحث عن بغيته فى مكان آخر ، حتى لو كان من خارج غرناطة .

وقد تذكّر أن الرسائل التى يرفعها إليه وزيره **أبوالقاسم بن العريف** نقية اللغة ، عالية الأسلوب ، مصيبة الأفكار ، لا يدانيها شيء فيما يأتيه من رسائل أخرى ، وكاتبها خير من يصلح لهذه المهمة ، وحين باح بإعجابه بها للوزير صارحه هذا : إنها من عمل كاتبى ، **يهودى يدعى صمويل**.

ولما توفى ابن العريف أقام حبوس أكبر أبنائه مقامه ، وكان فى الابن صبوة لا يحسن معها تحمل المسئولية ، فمكر به صمويل ، وازم خدمة الأمير وصار متى غاب ولد أبى القاسم يحضر صمويل ، فإذا سأل عنه حبوس

يقول اليهودى معتذراً فى الظاهر ، ومطالباً فى لحن من القول : « ولد أبى القاسم ، كما ترى ، صبى يؤثر الراحة ، وأنت جدير بالإغضاء عليه ، وإقامة عذره وأنا عبده أنوب منابه ، فمرنى بما شئت يتهيأ لك ذلك ، فلم يزل على هذا أبدا ، حتى ظهرت خدمته ، وتمكن منه » .

* * *

اسمه صموئيل هاليفى ، ويناودونه ابن النغرلة ، ويسمى فى المصادرالأندلسية **إسماعيل،أو اشموال،ويكنى** بإبراهيم ،وأهله من ماردة ، وولد فى قرطبة ، وتخصص صغيراً فى الدراسات التلمودية على يد أبى حنوك بن موسى الرئيس الروحى للطائفة اليهودية فى عاصمة الخلافة . ثم توجه راغباً إلى دراسة الأدب العربى ، وكل ألوان الثقافة الأخرى التى كانت شائعة فى أيامه ، فدرس الفلسفة مع أبى زكريا يحيى بن داود، وشمل الأستاذ تلميذه برعاية ملحوظة تجاوزت الدرس والتحصيل إلى المعاونة على مواجهة الحياة . وتعلم من اللغات العبرية والكلدية واللاتينية إلى جانب العربية لغته الأولى . وفى ماعدا ذلك لم يكن فى حياته العادية غير مجرد عطار فى قرطبة ، فلما اقتحمها البربر مع المستعين عام ١٠١٣ م ، وأتوا على المدينة ، غادرها إلى مالقة ليمارس المهنة نفسها .

جاء حانوت ابن النغرلة إلى جانب قلعة يمتلكها أبو القاسم بن العريف وزير حبوس ، ومالبث أن اشتهر بين زبائنه بأنه أديب وشاعر ، وبدأ الناس ، غير المثقفين ، يترددون عليه ليكتب لهم شكاواهم ، ويحرر لهم رسائلهم إلى الوزير أو الأمير ، ومع المران والاستمرار اكتسب خبرة فائقة ، فجاءت رسائله آية فى البلاغة العربية بمقاييس ذلك العصر ، ولما ذهب ابن العريف إلى مالقة سأل عن الرجل الذى يكتب لمواطنيه هذه الرسائل الجميلة ، ولما عرف أنه يهودى يبيع العطارة فى حانوت متواضع ، عرض عليه أن يستخدمه كاتباً له ، وتنبأ له بمكانة مرموقة إلى جانب الأمير نفسه ، فى مستقبل غير بعيد ،

ثم صحبه معه إلى غرناطة ، ولما حانت الفرصة تحدث عنه إلى الأمير على نحو ما أشرنا .

ومن المؤكد أن أمير غرناطة وجد فيه إلى جانب مواهبه الأدبية ، وقلة خطره على مستقبله الشخصى والسياسى ، أشياء أخرى ليس بأقلها قيمة مهارة اليهود فى جمع المال ، وتنظيم الضرائب ، وكثرتهم فى غرناطة ، والإفادة من المكانة الممتازة التى تتمتع بها الجالية اليهودية الكبيرة فى عالم التجارة والاقتصاد والسفارات . صحيح أن الرجل يهودى ، ولم يحدث فى أية مملكة إسلامية أخرى ، أو حتى غير إسلامية ، أن حكمها يهودى بدرجة رئيس الوزراء ، رغم أن يهودا كثيرين بلغوا مكانة اجتماعية عالية فى الدولة الإسلامية ، ونالوا حظوة أثيرة لدى حكامها ، وأصبحوا لهم بطانة ومقربين ، رغم ماطبع عليه المسلمون من تسامح على امتداد كل العصور الوسطى ، وشهرت بالتعصب الدينى . ربما يسر هذا الأمر أن جالية يهودية قوية النفوذ ، كثيرة العدد ، كانت تسكن غرناطة ، حتى أن بعض المصادر القديمة تنسبها إليهم فيقال « غرناطة اليهود » ، وفى ظل الجو السمح الذى ساد الحياة فى الأندلس لم يعيشوا بمعزل عن أهلها فى الحياة العامة ، وإن اتخذوا لهم أحياء خاصة بهم أحياناً ، وأن شئت الدقة كانت خاصة بالفقراء منهم ، فخلق ذلك لونآمن الود بينهم وبين بقية العناصر الأخرى ، من عرب وبربروأندلسيين من أصل إسبانى ، دون أن يهبط هذا بالعرب عما اختاروا لأنفسهم من قمة اجتماعية ، ودون أن يرتفع باليهود إلى حيث اختار العرب أن يكونوا ، وهى منزلة ا تضمّها لهم بقية العناصر الأخرى ، طواعية لسابقتهم فى الإسلام ، أو لدورهم فى الفتح ، أو وجدت نفسها مكرهة عليها بحكم ضواغط الحياة الاجتماعية .

كان **صمويل** رجل دولة ممتاز ، ذكيا وداهية ، معارفة واسعة ، وتجارب متعددة ، عاقلاً وهادىء ، يتحدث قليلا ، ويفكر كثيراً ، وهى صفة رائعة

لدبلوماسي مقتدر ، نهّاز للفرص ، يتسرب إلى هدفه كالميكروب ، ويندس إلى أعماق الرجال خفية ، ليتعرف إلى أهوائهم ونزواتهم ويتحكم فيهم من خلالها . مزهو بنفسه ، يظنه من يراه يتجول فى قاعات الحمراء الواسعة أنه ولد وفى فمه ملعقة من ذهب ، يتكلم فى أناقة وبراعة ومداهنة ، يملك قدرة فائقة على أن يكون ودوداً وآسراً ، ملهم فى اللحظات الحرجة ، ومقنع بأفكاره دائماً ، ليست له غطرسة الدخيل ، ولا عجرفة الغنى ، طيب ولطيف مع كل العالم ، ويحترم نفسه فى غير ادعاء ، ولا يخجل من أصله المتواضع ، ولا يحاول أن يخفيه ، بل كان يفتخر به ، ويواجه بسيطاً ومعطياً المثل لمن يحاول أن يذكره به ، وكل ذلك شيء نادر بين من رفعهم الحظ ، ووضع بين أياديهم مقادير البشر (٥) .

منذ اللحظة الأولى بدأ صمويل يتحرك على محاور متعددة : أن يكسب ثقة الأمير ، وأن يعزله عن بقية مواطنيه ، وأن ينال رضا جمهرة الناس من عرب وبربر ، جنداً ومثقفين ، وأخيراً ، وأولا إذا شئت أن يمكن لليهود فى الدولة الجديدة .

لكى يحقق غايته مع عامة المواطنين لم يكن يبادر أحداً بشر ، ويلقى السوءة ببسمة ، ويمثل دور العطوف فى مقابل قسوة الأمير . يحكى المؤرخون — مثلا — أنه تعود أن يمر صحبة الأمير أمام صاحب حانوت قريب من القصر ، فكان العطار يشبع صمويل شتائم وسبابا ، فغضب الأمير من هذه الجرأة ، وأمر صمويل أن يعاقبه بقطع لسانه . ولكن الوزير اليهودى لم ينفذ أمر الأمير ، ولا فكر فى ذلك ، وطلب من رجاله أن يوافوه بتقرير عن حالة العطار ، فلما جاءه تبين له أن التاجر يتعثر فى حياته الاقتصادية ، تطوقه الديون وعلى وشك الإفلاس ، فأرسل له مبلغاً كبيراً من المال ليواجه مشكلاته ، ويتخلص من ديونه ، ويعاود تجارته مطمئناً . وبعد قليل مر الأمير ، وبصحبته صمويل كالعادة ، بباب العطار ، فأغدقه هذا بالدعوات الطيبات وعجب الأمير ،

وغضب من وزيره : ألم أقل لك اقطع لسانه ، فلماذا لم تنفذ أمرى ؟! .
وأجاب صمويل : لقد نفذته ياموﻻى ، لقد قطعت لسانه الشرير ، ووضعت له مكانه لساناً طيباً .

غير أن أوضح ما فى حياته السياسية والأدبية إعلانه صراحة أنه حامى اليهود ، وعلى نحو ما اتجه اليهود قديماً إلى مصر ، ليجدوا الأمن والرعاية فى ظل يوسف وزير فرعون بدأت قوافل يهود الأندلس تتجه نحو غرناطة ، وبخاصة بعد هجوم البربر على قرطبة وتخريبها عام ١٠١٣ م ، فأحسن استقبالهم ، ولم يقف بجهده عند تيسير ضروريات الحياة لهم ، وإنما يتعهد أبناءهم ، وبخاصة الفقراء منهم ، تعليما وتربية ، وبدأ بهم نهضة ثقافية عبرية واسعة ، « وكان عنده من العلم بشريعة اليهود والمعرفة بالانتصار لها والذب عنها مالم يكن عندأحد من أهل الأندلس » (٦) . وقد حرر أكثر من عشرين مؤلفاً تتصل بنحو اللغة العبرية فحسب ، وله رسالة رد فيها على أبى مروان بن جناح اليهودى فى كتابه نحو اللغة العبرية ، وكان شاعراً فى العبرية يتكىء فى معانى قصائده على « نشيد الأنشاد » ، والمزامير ، والأمثال ، والجامعة ، وغيرها من أسفار التوراة (٧) . ومتأثراً بطريقة الحكم الثانى فى قرطبة كان فى خدمته نساخ كثيرون ينسخون له التلمود والمشنا ، ويهديها إلى تلاميذه الذين لا يستطيعون شراءها ، بل ويرسلها إلى الراغبين من اليهود فى بقية مدن الأندلس ، أو خارجها فى شمال أفريقيا وصقلية وبيت المقدس وبغداد والقاهرة . وأدى هذا بداهة إلى تأصيل الدراسات العبرية فى الأندلس ، ورفع المستوى الثقافى ليهود غرناطة ، وبالتالى جعلهم أكثر إعداداً لتولى الوظائف العامة بكفاءة . واستخدم سلطانه الواسع فعلا فى التمكين لهم فى كثير من الشئون الإدارية والمالية ، فاكتسبوا الجاه فى أيامه واستطالوا على المسلمين (٨) . وبلغ الأمر أن عين الشاعر موسى بن عزرا على خطة الشرطة ، أو المسئول عن الأمن بلغتنا المعاصرة ، وهى أهم الخطط وأخطرها فى الأندلس . ومن ثم

فإن يهود غرناطة أرادوا أن يبرهنوا على امتنانهم وعرفانهم ، فقلدوه عام ١٠٢٧ م رتبة الناجد Ha — Nagid ، أى رئيس اليهود أو أميرهم فى غرناطة (٩) .

توفى حبوس عام ١٠٣٨ م ، بعد أن ساربين قومه بأجمل سيرة ، وأعدل طريقة ، وصرف أحكامه أجمع إلى قضاة البلاد ، وتعفف عن كل شيء ، وجمدت يده عن الحرام والأموال ، فأحبه الناس ، وأمنت معه السبل ، وقل الفساد ، وارتفع الجور (١٠) .

مات حبوس وترك ولدين ، أكبرهما باديس ، والأصغر يدعى بلقين ، وقد مال بعض البربر وجانب كبير من اليهود إلى هذا الأخير ، على حين آثر العرب ، وجانب من اليهود بينهم صمويل ، الابن الأكبر ، وأوشكت غرناطة أن تواجه حرباً أهلية ، فاستخدم صمويل كل ذكائه ومواهبه لكى يجعل بلقين يتنازل عن المطالبة بالعرش راضياً ، وعلانية ، وتقدم فحلف يمين الولاء لأخيه ، وسار أتباعه على خطاه . وفتح هذا النصر طريقه إلى قلب باديس منذ اللحظة الأولى ، واحتل منه مكانة ونفوذاً أكبر مما كان له إلى جوار أبيه .

كانت بداية باديس فى أعوامه الأولى مشجعة ، عدلا ورفقاً وتحبباً إلى المواطنين ، ثم أخذ يزداد مع الأيام قساوة وغدراً وحباً للدماء ، وإسرافاً فى السكر ، لا يكاد يفيق منه ، وبدأ الناس يشكون ويتهامسون ، وأخيراً بدأوا يتآمرون ، وكلما اكتشف مؤامرة وأطاح برؤوس أصحابها ازداد ضعفاً أمام صمويل . واختلت أعصابه ، فأصبح يهيج بلا سبب ، يشق أثوابه ، ويهجر شرابه ، ويجفو ملاذه ، ويتصور الرعية توشك أن تنقض عليه ، فيقرر أن يفتك بها أولا ، واختار أن يكون ذلك فى يوم جمعة ، وأسر بالأمر إلى وزيره صمويل ، فنهاه عن ذلك ، وخطّأ رأيه ، « وسأله الأناة ومحض الروية ، وقال له : هبلك وصلت إلى إرادتك ممن بحضرتك ، على مافى استباحتهم من الخطر ، فأنى

تقدر على الإحاطة بجميعهم من أهل حضرتك ، وبسائط أعمالك؟ أتراهم يطمئنون إلى الذهول عن مصائبهم ، والاستقرار فى موضعهم ؟ ما أراهم إلا سيوفاً ينتظمون عليك فى جموع ، يغرقونك فى لججها أنت وجندك » (١١) .

ولكن هذه الكلمات بكل ما فيها من فطنة لم تؤد إلى أية نتيجة فى تفكير باديس ، وطلب من الوزير أن يحتفظ بالأمر سراً ، وأعطى الأوامر بتنفيذ الخطة فى يوم الجمعة ، وفى ذلك اليوم كان على الجنود أن يجتمعوا بكل أسلحتهم ، بحجة القيام بعرض عسكرى .

ولكن صمويل لم يسكت أمام هول المأساة ، كان يعرف أنها ستعصف ببابديس ، وستنهى نفوذه ، إن لم تطح برأسه ، على أقل تقدير ، فدس « تسواناً إلى معارف لهن من زعماء المسلمين بغرناطة ، ينهاهم عن حضور المسجد يومهم ، ويأمرهم بإخفاء أنفسهم ، وفشا الخبر فتخلف الناس عن شهود الجمعة ، ولم يأته إلا نفر من عامتهم ، اقتدوا بمن أتاه من مشيخة البربر وأغفال القادمين . وجاء الخبر إلى باديس ، والجيش فى السلاح حول قصره ، فساءه وفت فى عضده ، ولم يداخله شك فى أن سره قد ظهر ، وأنكر صمويل التهمة ، ورد : من ينكر على الناس الحذر ، وأنت عبأت كل جيشك ، ولست على سفر ، ولا عدو وثب إليك ، ومن هنا حدس القوم أنك تريدهم . فأعد نظرك ياسيدى وأشكر الله بدل أن تغضب ، لأنهم عرفوا نيتك ولم يثوروا ، فخذ الأمر بنفس هادئة ، وسيجىء اليوم الذى تعرف فيه أن الحق كان معى ، فتحمد رأيى ، وعاقبة نصحى . ولم يقتنع باديس بما قال وزيره ، ثم طابت نفسه بعد لأى حين سمع الرأى نفسه من شيخ بربرى (١٢) .

وحدث ماجعل **باديس** يصبح أسير إرادة **صمويل** . فقد اتفق جماعة على قتل باديس وإقامة **يدير بن حباسة** مكانه ، وأشركوا **صمويل** معهم فى الأمر . فقبل فكرتهم ، واجتمعوا فى منزله ، « وتقدم إلى باديس وأخبره الخبر ، وأتى معه إلى المنزل ، وقال له : « ليس الخبر كالعيان ، اسمع بأذنك ، وع بقلبك! » ،

وهو بموضع مرتفع على البيت الذى يرمون عمالهم فيه ، وأبو إبراهيم فى ذلك كله يقول عند محاورتهم كالمخاطب للبارئ : « يامن يرى ولا يرى ! » ، وهو يعنى بذلك باديس الذى يراهم ولا يرونه » (١٣) .

رأى باديس فى صمويل عوضاً عن بنى عمه ، ذميا لا تشره نفسه إلى ولاية ، ولا يتداخل مع أمراء آخرين حوله ، ثم استغنى به فى طلب الأموال ، فأحكم جمعها من الجباة ، وقسا فى حسابهم ، وكان يرى أن بيت المال ، وإقامة أود الدولة أولى بها منهم ، وحين مات صمويل عام ١٠٥٥ كانت غرناطة من كبريات دول الطوائف وأقواها ، وقد حزنت علية الجالية اليهودية حزناً عميقاً ، ورأت فى ذهابه بداية متاعب تبرق فى قادم حياتهم . كان صمويل شيئاً كبيراً بالنسبة لهم جميعاً ، على غير خلاف بينهم ، وكان للآخرين إنساناً يمكن التفاهم معه فى لحظات الشدة وما كان أكثرها فى دولة تلك الأيام ! ، ويصفه المؤرخ الجليل ابن حيان ، وكان معاصراً له : « وكان هذا اللعين فى ذاته ، على مازوى الله عنه من هدايته ، من أكمل الرجال علماً وحلماً وفهماً ، وذكاء ودماثة وركانة ودهاء ، ومكراً وملكاً لنفسه ، وبسطاً من خلقه ، ومعرفة بزمانه ، ومداراة لعدوه ، وإسلالا لحقودهم بحلمه . ناهيك من رجل كتب بالقلمين ، واعتنى بالعلمين ، وشغف باللسان العربى ، ونظر فيه ، وقرأ كتبه ، وطالع أصوله ، فانطلقت يده ولسانه ، وصار يكتب عنه وعن صاحبه بالعربى ، فيما احتاج إليه من فصول التحميد لله تعالى ، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتزكية لدين الإسلام ، وذكر فضائله مايريده ، ولا يقصر فيما ينشئه عن أوسط كتاب الإسلام » (١٤) .

* * *

خلف صمويلَ ابنهُ يوسف ، وأعده ليكون وزيراً من بعده ، لباديس أولمن يخلفه ، فأحسن تربيته ، وحمله على مطالعة الكتب ، وجمع إليه المعلمين والأدباء ، يعلمونه ويدارسونه ، وأعلقه بصناعة الكتابة ، وشغل فى حياة والده

مكانه فى المدرسة العبرية التى أنشاها يدرس التلمود ، وكان إلى جانب ذلك جميل الوجه ، حاد الذهن ، « لم يعرف ذل اليهودية ولا قدر الذمة » (١٥) ، ويزيد ابن ابسام ، فى كتابه الذخيرة وشهد أحداث العصر ، مايمس أخلاقه الخاصة فيقول عنه : إنه كان « غلاماً وضيأ ، ومركباً — زعموا — وطيا ، وكان لمن اعتنى يومئذ بالغلمان فتنة ، حتى كان يقال إنه وإنه ... » ، ويصفه فى مكان آخر صراحة بأنه كان « مأبونا » (١٦) ، ولم يرد الخبر فى مصادر أخرى ، فيما أعرف ، غير أن ابن حزم وشهر بالموضوعية ، وبالشجاعة العقلية فى إيراد الأخبار ، ولعله نقله عن ابن حيان المؤرخ ، ولم يكن يتردد فى ذكر أية معايب ، يذكرها صراحة دون مواربة ، وفى جرأة دون تردد » (١٧) .

وقد اصطنع لنفسه و « لم يعرف ذل اليهودية ولا قدر الذمة » (١٨) ، كل ماعرف من الترف على أيامه ، فكسف أبهة الأمير وأخمل أمجاد صنهاجة ، فإذا مضى إلى جانب باديس لم يفرق الناس بين الرئيس والمرءوس ولم يعرفوا الأمير من الوزير (١٩) .

والحق أن باديس مال فى البدء إلى **على بن القروى** ، وقال له : التزم خدمة مملكتنا فأنت أحق بها ، فأبى ذلك على ، وأكد عليه يوسف بن صمويل فأطباه بالأموال الجسيمة ، واسترضاه بكلام المعسول ، يقول له : « ليس أرغب إلا أن أكون عبدك وتربيتك ، ولك الأمر ، وأنا كاتب بين يديك ، وأقوم بنفقتك كلها ، ولو كان أهلك عدد الحصى » . فطمع على فى قوله ، وكلم السلطان فى ذلك ، وقال له : إن أبقيت على ولد أبى إبراهيم ناصحك ، فأرجو ذلك لولدى من بعدى ، وأنا المشرف عليه » . ففعل السلطان ماقال ، وقدمه على العمال والجبايات .

وأظهر يوسف للسلطان نصائح كثيرة حظى بها عنده ، وتبرمك على على وغيره ، واستوثق من جانب الرئيس مالم يسأل به عن على ولا عن أحد من خلق الله ، وكان فيما قال للأمير : « إن الذى يأخذ على أنت أو به ، والرجل

كثير الأولاد والضعف ، ويذهب مالك إن لم تحمني وتعضدني ، وهو متى تملأ طمع في ملكك ، وأنا رجل ذمي لا همة لي إلا خدمتك ، وجمع الدراهم لبيت مالك » . فوثق الرئيس بقوله ، وقاس عليه بعقله ، ومنع منه علياً وجميع الناس (٢٠) .

وشيئاً فشيئاً تمكن يوسف من باديس تماماً ، وأعانه عليه أن السن تقدمت به ، واشتغل بالشرب أكثر الوقت لا يكاد يصحو من سكر ، ودس عليه يوسف عيونه في قصره ، من نساء وفتيان ، غمرهم بإحسانه ، فهم يحصون على الأمير حركاته ، وخفقات قلبه ، وينقلونها إليه (٢١) .

كان يوسف يفتقد رغم ذكائه الكثير من صفات أبيه ، لا يعرف كيف يصطنع الناس حوله ، متغطرس مزهو ، أساء إلى مواطنيه جميعاً من العرب والبربر ، وحتى إلى عقلاء اليهود أنفسهم ، وأغرى بهم الأمير يصادر أموالهم أو يشتريها بثمن بخس ، ووضع اليهود في كل المراكز الاقتصادية الكبرى والهامة ، من الأشراف على جباية الضرائب ، والتصدير والاستيراد ، وتنمية ثروات الأمير ، وفي البلاط ، ووجدها هؤلاء فرصة سنحت لكي يجمعوا الأموال ، ويبتنوا العقار ، دون أن يراعوا في صنعها عدلا ولا ذمة . فلما رأى وزراء الدولة ، وابنا القروي تمكن اليهودي عند السلطان ، وعند الابن ، أغاظهم ذلك وأقلقهم ، وبلغ منهم كل مبلغ ، وأجمع رأيهم على الحيلة بين الأمير واليهودي ، فتحدثوا إلى بلقين بن باديس وكانوا ندماءه لا يفارقونه ، وقالوا له . إن الأموال التي يغنم اليهودي ويستأثر بها ، أنت أحق بها وأولى وقد أخملك وأخمل الدولة أجمع ، ولو أنك قتلته لم يقل لك أبوك شيئاً في ذلك وما عسى أن يصنع بابنه ؟ وسعوا بالوشاية بين بلقين بن باديس وبين يوسف ، وكان بلقين غرا قليل التجارب ، فقر أن يقتل يوسف ، وتحدث بذلك لمن حوله ، دون أن يسارع بالأمر ولا تكتم بغيته ، وأدرك اليهودي تغير بلقين عليه ، رغم ما كان يظهر من المودة ، ومن تردده على داره ومشاطرته الشراب ، فقرر

أن يتخلص منه . وذات يوم دعاه مع خاصته وصحبه إلى مجلس شراب حافل ودس له السم فى الكأس ، ولم يخرج عنه حتى قذف كل مافى جوفه ، واستلقى على الأرض ، ولم يستطيع المشى إلى منزله إلا عن مشقة ، ولبث يومين يجود بنفسه حتى مات (٢٢) . وفزع باديس لمهلك ولده ، ولكن يوسف أقنعه باتهام بعض فتيان ولده وجواريه وقرابته ، فقتل باديس منهم عدة وفر الباقون(٢٣)

وبينما خاصة المجتمع يتململون من سيطرة اليهود على مرافق الدولة ، وأعيان الناس ، أو الطبقة الوسطى فى لغتنا الحديثة ، ضائقون بالضرائب ومن وجود يهودى على رأس الحكومة ، وعامة الناس يتعرضون لأقسى المظالم من كل جانب ، طمحت آمال يوسف إلى ماهو أكثر من قدرته ، فقرر أن يتخلى عن باديس ، وأن يسلم الإمارة لجاره ابن صمادح أمير المرية ، ثم تكون له مع هذا جولة يخلص فيها منه ، لتخلص له غرناطة مملكة مستقلة خالصة لليهود وحدهم . وبدأ الناس يتهامسون سراً وفى صوت خفيض بأحلام الوزير ، خوفاً من بطشه ، وطلباً للسلامة . وأخيراً وقع يوسف فى الخطأ القاتل الذي أدناه من نهايته ، حين اقتحم على عامة المسلمين مشاعرهم الدينية ، فبدأ أولا يطعن فى كل الملل والأديان ، يمس اليهودية فى رفق ، ويتجاوزها عجلا ليركز مطاعنه فى الإسلام ، يسخر من مبادئه ، ويزعم أنه قادر على أن يجيء بقرآن مثله ، وقد تصدى له ابن حزم العظيم فى رسالة أتى فيها على كل ترهاته(٢٤) . ومع هذه الوقعة كان الألم والغيظ والرغبة فى الثأر تضطرم فى نفوس الناس كافة ، وفى انتظار من يشعل الثقاب .

وجاء من يشعله !

* * *

يمكن القول أن غرناطة تحت حكم بنى زيرى كانت أفريقية أكثر منها أندلسية ، تشبه أن تكون جزيرة بربرية تطوقها بحار من الإمارات العربية ، مدينة جافة لما تنضج ، أبعد ماتكون عما ستصبح عليه حين ينتهى بها المال

أخيراً إلى أيدى العرب ، ولقد برهن العالم الإسبانى المتخصص فى الأثار طريس بلباس TOrrès Balbâs على غيبة الفن التشكيلى والمعمار فى المدينة ؛ لأن صغار ملوك البربر وهم جبناء وبخلاء ، لم يشيدوا غير سور متين باق حتى أيامنا هذه ، كهيكل عظمى للمدينة ، وآثروا أن يكدسوا الأموال التى استولى عليها المرابطون فيما بعد .

وامتد الجدب إلى الحياة الأدبية نفسها ، فعلى امتداد نصف قرن ، وفى بلد يرتوى بالشعر ، ويتغذى بالغناء ، بقيت غرناطة على امتدادالقرن الحادى عشر خارج المهابط التى يتردد عليها الشعراء ، ولم يحدث أبدا أن أيا من كبار الشعراء خارجها فكر أن يرتحل إليها ، ليمدح عبثاً أمراءها البربر ، أو وزراءها اليهود ، وأما الشعراء الذين فيها فكان عليهم أما أن يخضعوا أو يرحلوا.

كان المنفتل، أبو أحمد عبد العزيز بن خيرة ، رأس الاتجاه الأول ، فوقف شعره على مدح صمويل ، وابنه من بعده ، وغالى فى مديحه ، فارتفع بهما إلى مرتبة الأنبياء ، وفضل بهما موسى نفسه ، وجعلهما أكرم الناس شرقاً وغرباً، وأنه بينهم على دينهم ، فإذا التقى مع قومه آمن به سراً :

ومن يكُ موسى منهمُ ثم صنوُه ... فقل فيهمُ ماشئتَ لم تبلغ العُشرا
فكم لهم فى الأرض من آية تُرى ... وكم لهم فى الناس من نعمة تترى
أجامعَ شمل المجـــد وهو مشتتٌ ... ومطلقَ شخص الجود وهو من الأسرى
فضَلت كرامَ الناس شرْقا ومغربا ... كما فضلَ العقيانُ بالخطر القطرا
وقد فزتُ بالدنيا ونلتُ بك المنى ... وأطمعُ أنْ ألقى بك الفوز فى الأخرى
أدينُ بدينِ السبت جهراً لديكمُ ... وانْ كنتُ فى قومى أدينُ به سرا
وقد كان موسى خائفاً مترقباً ... فقيراً وأمنتَ المخافة والفقـــرا

والقليل من شعره الذى أورده ابن بسام ، فى كتابه « الذخيرة » ، فى غير مدح صمويل وابنه ، يومىء إلى شاعرية جيدة مقتدرة ، متفننة ، ذات

جوانب متعددة ، ولكن المؤرخين عقاباً له ، واستصغاراً لشأنه ، أهملوا الإشارة إليه إلا عرضاً ، واكتفوا من شعره بالقليل ، يقول ابن بسام ، معلقاً على بعض شعره : « وهذا القصيد اندرج له من الغلو فيه ، مالا أثبته ولا وأريه ، وأبعد الله المنفتل ، فم‍ـما نظ فيه وفصل ، وقبحه وقبح ماأمل »(٢٥)

وكان السميسر ، خلف بن فرج الإلبيرى ، يمثل الاتجاه الثانى خير تمثيل ، والحق أن هذا الشاعر « كان باقعة عصره ، وأعجوبة دهره » ، وله من زمنه موقف رافض ، حين رأى اختلال القيم ، وزهوة الباطل ، وغلبة الصغار ، وعجزه عن التغيير ، فأدار ظهره لكل ماحوله ، وجاء شعره رافضاً بكل ما تعنيه الكلمة فى عصرنا الحديث ، سخر مما يعظم الناس ، وهجا من يمدحون ، واحتقر ما يكبرون ، وجاء هجوه لهم مفحشاً ، ونقده قاسياً ، فأهمله المؤرخون خوفاً ممن هجاهم ، يقول ابن بسام مشيراً إلى مذهبه هذا « وله مذهب استفرغ فيه مجهود شعره ، من القدح فى أهل عصره ، صمت الكتاب عن ذكره » (٢٦) .

كان داعية ثورة حين استطاب الناس المتع والملذاذة ، وخلدوا إلى الدعة والراحة ، وآثروا الأمن والسلامة ، غيره يمدح الملوك وهو يصرخ بأعلى صوته :

نادِ الملوكَ وقُلْ لهم ماذا الذى أحدثتُمُ
أسلمتمُ الإسلامَ فى أسر العدا وقعدتُمُ
وجب القيامُ عليكمُ إذ بالنصارى قمتُمُ
لا تنكروا شق العصا فعصا النبىِّ شققتُمُ

وبقى فى غرناطة موزع القلب والعقل ، بين مايؤمن به وما يرى تحت بصره ، بين ما يريد أن يفعل وبين قلة حيلته ، وتخيل كل من يعرفونه يسألون عن السبب :

قالوا أتسكنُ بلدة نفسُ العزيز بها تهون!
فأجبتهمْ بتأوّه كيف الخلاصُ بما يكون!
غرناطةٌ مثوى الجنين يلذ ظلمته الجنين.

ثم استجمع أمره، وقال كلمته فى حكام غرناطة، ساخرة قاسية، بسيطة موجعة:

رأيتُ آدمَ فى نومى فقلت له: أبا البرية إن الناس قد حكموا
أن البرابر نسلٌ منك قال: إذاً حواءُ طالقةٌ إنْ صح ما زعموا

قالها، وخلف غرناطة وراءه، هاجر إلى حيث لا يرى وزيراً يهودياً يتحكم فى مصائر قومه.

الشاعر الوحيد ذو الأهمية فى غرناطة بنى زيرى لم يكن بالطبيعة شاعراً يتغنى بالحب، أو الخمر، أو بالترف المصقول، كما عند بقية ملوك الطوائف بل ولا شاعر بلاط مداحاً، وإنما كان صدى لواقع المدينة، كان شاعر المعارضة والزهد والسياسة ومناهضة نفوذ اليهود، ذلك الشاعر هو: **أبو إسحاق الإلبيرى** (٢٧).

اسمه كاملا: **إبراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبى، ولقبه الإلبيرى، وكنيته أبو إسحاق.**

صمت المؤرخون بعامة، لسبب غير واضح، عن أبى إسحاق، ولانجد له ذكراً إلا فى أربعة مصادر، رغم أنه أحدث ثورة بالغة الأثر على ماسنعرف. ترجم له **القاضى عياض**، المتوفى عام ٥٤٤ هـ — ١١٤٩ م، فى نهاية كتابه «**ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك**». وخصه **الضبى**، المتوفى عام ٥٩٩هـ — ١٢٠٢ م، بأقل من سطرين، فى كتابه «**بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس**»، ذكر فيهما اسمه، وأنه: «فقيه فاضل زاهد عارف كثير الشعر فى ذم الدنيا،

مجيد فى ذلك » . وترجم له **ابن الأبار** ، المتوفى عام ٦٥٨ هـ — ١٢٦٠ م ، فى كتابه« **تكملة الصلة** » . ونعرف أن **ابن الزبير** ، المتوفى عام ٧٠٨هـ — ١٣٠٨ م ، ترجم له فى مؤلفه « **صلة الصلة** » ، ولكن المخطوطة الوحدة التى نعرفها لهذا الكتاب ، والتى نشرها ليفى بروفنسال فى الرباط عام ١٩٣٨ م، مبتورة من الأول ، ولا يضم محتواها الترجمة المتصلة بشاعرنا ، والتى يجب أن تكون فى بدء الكتاب . أما **المقرى التلمسانى** ، المتوفى عام ١٠٤١ هـ = ١٦٣٢ م ، فأشار إليه ، فى موسوعته الكبيرة « **نفح الطيب** » ، فى ستة مواطن ، أورد له فيها أبياتاً منقولة عن ديوانه ، وبعض منها لم يرد فى مخطوطة الديوان الوحيد التى بين أيدينا ، والتى توجد فى مكتبة الإسكوريال ، وقد نشرها إميليو غرسية غومث فى مدريد عام ١٩٤٤ م ، وجاء المقرى بخبر وحيد قصير حول قصيدة أبى اسحاق المتصلة باليهود ، ثم أورد أبياتا منها .

لا نعرف تاريخ مولد أبى إسحاق ، ولكننا نعرف أنه توفى قريباً من نهاية عام ٤٥٩ هـ = ١٠٦٧ م ، وأنه عاش باعترافه حياه تجاوزت الستين عاماً بكثير :

فقد وفّيتُها ستين حــوْلا ونادتنى ورائى هــل أمــامُ

وفى ضوء ذلك نستطيع أن نفترض أنه جاء إلى الحياة مع نهاية القرن العاشر الميلادى ، فى أسرة عربية عريقة تنتمى إلى قبيلة تجيب المشهورة ، ومن الواضح أن نسبته إلى إلبيرة تعنى أنه ولد فيها .

ويقص علينا مترجموه أن له شيوخاً كثيرين ، ولكنهم لا يذكرون من بينهم إلا واحداً : **ابن أبى زمنين** ، أبو عبد الله بن محمد ، قاضى غرناطة الشهير ، المتوفى ٣٩٨ هـ = ١٠٠٧ م ، ونبغ فى دراسة الفقه ، وألف مدونته وعرف بتصانيفه فى الوعظ والزهد وأخبار الصالحين ، وكان يقول شعراً يغلب عليه طابع التديّن وشىء من التشاؤم (٢٨) . وسنرى فيما بعد أن الطالب كان معجباً بأستاذه فروى عنه كتبه ، واحتذى منهجه فى أشعاره .

ويغلب على الظن أن أبا إسحاق ترك البيرة إلى غرناطة عاصمة بنى زيرى الجديدة ، بعد أن تهدمت الأولى ٤٠١ هـ = ١٠١٠ م ، خلال القتال الذى داربين الصنهاجيين وأعدائهم ، وأنه شهد انسحاب زاوى بن زيرى إلى أفريقية ، ورأى شيخه ابن أبى زمنين ، زعيم البلدة وكبير فقهائها يلعب دوراً هاماً فى هذه الأحداث ، فكان فى وداع زاوى حين ركب البحر من ثغر المنكب فى طريقة إلى القيروان ، وبمبادرة منه وضغط تولى حبوس الامارة مكانه (٢٩) .

وعمل أبو إسحاق فيما بعد كاتباً لأبى الحسن بن توبة قاضى غرناطة ، وكان قد عينه فى هذا المنصب باديس بن حبوس ، بعد أن تولى العرش فى عام ٤٢٩هـ — ١٠٣٨ م ، ونال بوصفه قاضياً ومصلحاً ومعمراً شهرة واسعة فى غرناطة ، فأنشأ منبر المسجد الجامع فى المدينة ، والمسجد المتصل بالقبلة ، وجسراً على الدارو لا تزال أطلاله باقية حتى اليوم ، ويحمل اسم قنطرة القاضى ، وأمر بضرب شاعر يدعى أبا بكر بن الحج ، والطواف به فى الأسواق لأنه اجترأ على هجاء ابن توبة ، وجماعة من الفقهاء . ونعرف من مقطوعة فى الديوان أن أبا إسحاق رافق ابن توبة فى مهمة إلى المرية ، لدى أبى جعفر ، أحمد بن عباس بن أبى زكريا الأنصارى ، وزير زهير العامرى ، وتمت الرحلة فى نفس العام الذى تولى فيه باديس العرش ، لأنه سوف يقتل جعفراً هذا بيده ، بعد شهور من توليه (٣٠) . وقد مدح أبو إسحاق رئيسه بقصيدتين ، إحداهما أكيدا ، والأخرى ظنا راجحاً ، ولم يمدح أحداً غيره (٣١) .

كان أبو إسحاق يعمل كاتباً للقاضى ، ولا ينبغى أن نفهم من كلمة كاتب ما يفهم منها فى عالم الإدارة اليوم ، لأنها تتسع لما هو أكثر من تسجيل أحكام القاضى ، فهو — إذا شئت — شريكه فى الرأى ، وأمينه ومساعده ، ونائبه إذا

تخلف أو غاب . ويقوم فى الوقت ذاته بتدريس مؤلفات شيخه ابن أبى زمنين ، ورواية شعره نفسه ، وكان حريصاً على التدريس لأنه المجال الوحيد الذى يستطيع فيه أن يلتقى بناشئة غرناطة، وأن يتحدث إليهم عن المظالم حولهم ، وعن طغيان اليهود فى كل ناحية ، دون هجوم مباشر يثير حفيظتهم ، أو يغرى به الوزير . وكان بحكم مهنته فقيهاً، ولانتمائه إلى أسرة عربية عريقة غير راض عن سيطرتهم على الحياة السياسية والاقتصادية ، وهى مشاعر من المؤكد أنها اجتاحت أعماقه شاباً ، وأخفاها زمناً ، دون أن يتوقف عن إثارة الذين حوله ، والإعداد للثورة ، وتغيير الأوضاع الجائرة . ووجد فى رئيسه ابن توبة القاضى حماية وكبحا ، وفى صمويل الوزير إغضاء وحلما، فلما توفى الأول فى ٤٥٠هـ=١٠٥٨ م ، والثانى فى ٤٤٨ هـ=١٠٥٦ م، واجه جامحا ووحيداً الوزير اليهودى الجديد ، ولم يكن على شىء من مداراة أبيه، وفاضت بأبى اسحاق مشاعره فنفاه باديس بضغط من وزيره اليهودى خارج غرناطة، فتركها واستقر فى ضواحى مدينة إلبيرة الخربة ، فى زاوية تسمى رابطة العُقاب ، وهناك نظم قصيدتين ، مطلع الأولى :

ألفتُ العُقاب حـذار العِقاب   وعفتُ الموارد خـوْف الذئاب

ومطلع القصيدة الثانية :

ألا حـىِّ العُقـاب وقاطنيه   وقـلْ أهـلاً بـه وبزائريه

ويبدو أنه أمل فى رفاقه من الفقهاء خيراً ، من الانتصار له ، ورفع الغبن عنه ، والسعى لعودته ، ولكن أمله فيهم لم يصدق ، ونفهم من شعره أن موقفهم منه لم يكن سلبياً فحسب ، وإنما بينهم – ولعلهم الأكثرية – من تقرّب بإيذائه ، وجارى أعداءه، ودس عليه عند الحاكمين. ويعبر أبو إسحاق عن ألمه من هذا الموقف ، فى بيت من الشعر ينضح مرارة :

وكـمْ ذئبٍ يجاوره ولـكـنْ   رأيتُ الذئبَ أسـلم من فقيه

وتوالت الأحداث سراعا ، وفارق أبو إسحاق إلبيرة إلى غرناطة العاصمة فى تاريخ نجهله ، ووجدها فى قمة الغليان والاضطراب ، فالعرب والبربر فى استياء بالغ من يوسف بن صمويل ، وينسبون إليه أقسى النوايا رعباً ، وهو بحماقاته يدفعهم إلى المزيد من الكراهية والتطرف وكان وقود الثورة معداً ، وفى حاجة إلى من يشعل النار فحسب ، وأشعلها أبو إسحاق بقصيدة عظيمة ، دخلت ، ودخل معها ، التاريخ من أوسع الأبواب ! .

لا يعرف العالم العربى أبا اسحاق إلا قليلا ، والقلة التى تعرفه تراه شاعراً زاهداً فحسب ، ولكن شهرته العالمية تعود فى المقام الأول إلى قصيدته التى توجه بها إلى بربر صنهاجة ، يحرضهم على **يوسف بن صمويل** ، وزير **باديس بن حبوس** . « والحق أن القصيدة تستحق ما حظيت به من شهرة ، ولا نعرف إلا فى القليل النادر أن أبياتاً من الشعر لعبت دوراً سياسياً مباشراً فى التاريخ السياسى لأمة من الأمم ، فكهربت العزائم ، ودفعت بها فى سرعة خاطفة إلى إشعال الحرائق ، وشحذت السيوف إلى القتل ، كالدور الذى لعبته هذه القصيدة » (٣٢) .

توجه أبو إسحاق بقصيدته إلى كل القوى التى يتكون منها المجتمع الغرناطى بربر صنهاجة ، والأمير وهو منهم ، ورئيسهم كقبيلة فى الوقت نفسه ، وجنود الجيش وهم من بربر أفريقية ، ثم عامة المسلمين من بقية الأجناس الأخرى ، وقد آثر فى البدء أن يتحدث إلى القبيلة ، فالبربر حانقون على اليهود فعلا ، وبقليل من المديح لهم ، وبسط ما كان عليه اليهود وما انتهى إليه حالهم ، سوف يصبحون من الثائرين .

وهو يتحدث إليهم من القلب ، فى لغة متواضعة ، ونغم هادىء ، وإرادة مخلصة ، ويشهدهم جميعاً ، وهم الأجواد الشجعان ، على أن سيدهم ، أمير غرناطة ، ارتكب خطأ فادحاً : تخير وزيره كافراً ، ولم يكرهه أحد على ذلك ، وفى المسلمين أكفاء لهذا المنصب ، ويمكن أن يركن إلى واحد منهم ، وقد

أدى موقفه هذا إلى إعتزاز اليهود وزهوهم ، ومعه حققوا كل مآربهم ، وأكثر مما أملوا ، ولم يكن ذلك لمهارة فيهم ، وإنما لغفلة من المسلمين :

ألا قُــل لصنهاجةَ أجمعينْ ... بدورِ الندى وأسْــدِ العرينْ
لقــد زلّ سيدكم زلّــةً ... تقــرُّ بها أعــينُ الشامتين
تخيّــرَ كاتبَــه كافــراً ... ولو شاءَ كان من المسلمين
فعزّ اليهودُ به وانتخــوْا ... وتاهُــوا وكانوا من الأرذلــين
ونالوا مناهمْ وجازوا المــدى ... فحان الهــلاك وما يشعرون
فكم مسلمٍ فاضــل قانتٍ ... لأرذل قــردٍ من المشركين
وما كان ذالك من سَعيهــم ... ولكنّ منّــا يقوم المعــين

ويسأل عامة البربر منكراً : أما كان خيراً له أن يعاملهم على نحو ما كان يعاملهم خيرة الأمراء قبله ، فيعود بهم حيث يستأهلون أن يكونوا : باعة جوالين ، عليهم صغار وذلة ، وحول المزابل يبحثون عن بقايا خرق يصنعون منها أكفانا لموتاهم ، ساعتها لن يستخفوا بالصالحين من المسلمين ، ولن يطاولوا أعيان القوم راجلين أو جالسين :

فهلا اقتدى فيهمُ بالأُلى ... من القادةِ الخيــرةِ المتقــين
وأنزلهــم حيثُ يستــأهلو ... ن وردّهم أسفلَ السافلــين
وطافوا لدينــا بأخراجهم ... عليهم صغارٌ وذلٌ وهــون
وقمّوا المزبلَ عن خرقة ... ملوّنة لدثارِ الدفيــــن
ولم يستخفوا بأعلامنــا ... ولم يستطيلوا على الصالحين
ولا جالسوهم وهمْ هجنةٌ ... ولا واكبوهم مع الأقربين

وبعد حواره مع البربر توجه بالحديث إلى باديس ، مصدر طغيان اليهود ونفوذهم ، ولم يكن يطمع فى أكثر من أن يجعل منه شخصاً محايداً حين تشتعل

الثورة ضد اليهود ، فهو يصفه بالذكاء ، والقدرة على النفاذ إلى بواطن الأمور ، وأنه ابن ملوك ماجدين ، وسباق إلى الخير دائماً :

أباديسُ أنت امرؤٌ حاذقٌ تصيب بظنك نفسَ اليقين
وأن لك السبقَ بين الورى كما أنت من جِلّةِ السابقين

ويعتب على باديس في رفق : كيف خفي عليه حال اليهود ، وقد أصبحوا أعيانا ، وانفردوا به ، على حين أنهم في غير غرناطة ضعفاء مهانين ، فبغّضوه إلى شعبه ، وحالوا دون رقيه ، إنه يبنى وهم يهدمون :

فكيف اختفتْ عنك أعيانُهم وفي الأرض تضربُ منها القرون
وكيف تحبُّ قراخَ الزنا وهم بغّضوك إلى العالمين
وكيف يتمُّ لك المرتقى إذا كنتَ تبنى وهم يهدمون
تأمَّلْ بعينيك أقطارَها تجدْهمْ كلابا بها خاسئين
وكيف انفردتَ بتقريبهم وهم في البلاد من المبعدين

ومن الحديث إلى البربر ، وعتاب الأمير ، إلى الإثارة وتهيئة النفوس للثورة . وطريقه إليها أن يصف ما وجد عليه اليهود حين هبط غرناطة : لقد قسموا بينهم المناصب ، ويتولون جباية الضرائب ، ويلبسون أفخر الملابس وعندهم — وهم الخونة — تنتهي أسرار الدولة ، إذا سرق غيرهم درهماً عوقب عليه ، وأُقصي عن وظيفته ، ويسرقون الأموال الطائلة فيزدادون من الأمير قربا ، ومن السلطة تمكنا :

وإنّي احتللتُ بغرناطـة فكنتُ أراهم بها عابثين
وقـد قسّـموها وأعمالهـا فمنهم بكـلٍّ مكـانٍ لعـين
وهـم يقبضـون جبايا تهـا وهـم يخضمـون وهم يقضمون
وهـم يلبسون رفيعَ الكسـا وأنتَ لأوضعهـا لابسـون
وهـم أمناكم على سـركم وكيف يكـون خئونٌ أميـن

ويأكلُ غيرُهم درهماً فيُقْصى ، ويُدْنون إذ يأكلون

ويعزف للأمير على إيقاع دينى ، ويلمح إلى ما اتبع اليهود من وسائل للسيطرة عليه ، فقد ناهضوه إلى ربه ، فلم ينكر ذلك عليهم ، ولا منعهم منه ، وهم أغرقه فى المتع الحسية ، وأسكروه بها ، فما يسمع معها ولا يبصر :

وقد ناهضوكم إلى ربكم فما تمنعون ولا تُنكرون
وقد لابسوكم بأسمارهم فما تسمعون ولا تبصرون

ويتجاوز الجانب الدينى إلى ما يمسه شخصيا ، يثير فيه روح الغيرة ، فاليهود يأكلون خير ما فى غرناطة ، وقصر الوزير رئيسهم يطاول قصر الأمير ، صفاء رخام وغناء حدائق ، والمسلمون واقفون ببابه ، ينتظرون قضاء حوائجهم ، ويضحك منهم ومن دينهم :

وهم يذبحون بأسواقها وأنتم لأطرافها آكلون
ورخَّمَ قردُهم دارَه وأجرى إليها نميرَ العيون ،
فصارتْ حوائجنا عنده ونحن على بابه قائمون
ويضحك منَّا ومن ديننا فإنَّا إلى ربنا راجعون

وكان باديس نهما إلى المال بخيلا ، فأثار فيه الرغبة إلى المزيد من الثراء ، ودعاه إلى أخذ أموالهم فهو لمحق بها ، والاستيلاء على قصورهم وفيها كل طريف وتالد :

ولو قلتَ فى ماله إنّه كمالك كنتَ من الصادقين
فبادرْ إلى ذبحه قربةً وضحِّ به فهو كبشٌ سمين
ولا ترفع الضغطَ عن رهطه فقد كنزوا كلَّ علقٍ ثمين
وفرِّقْ عداهم ، وخذْ مالهم فأنت أحقُّ بما يجمعون

ثم يقدم تبريراً خلقياً وفقهياً له ، ولكل ثائر ، فقد نكث اليهود العهد ،

وخانوا الأمانة ، وتجاوزوا حد الذمة ، وأخذوا ما ليس لهم ، وكانوا البادئين بالعدوان ، فليس فى قتلهم أى غدر :

ولا تحسبنْ قتلهم غدرةً   بل الغدرُ فى تركهم يعبثون
وقد نكثوا عهدنا عندهم   فكيف تُلام على الناكثين
وكيف تكُون لهم ذمةٌ   ونحن خمولٌ وهم ظاهرون
ونحن الأذلّةُ من بينهم   كأنا أسأنا وهم محسنون

حتى إذا انتهى من عرض قضيته بكل جوانبها ، ختم قصيدته مطمئناً إلى النصر ، متفائلا بالفوز ، لأن الله مع قومه :

وراقبْ إلاهك فى حزبه   فحزب الإلهِ همُ الغالبون

اعتمد أبو إسحاق على أدوات كثيرة لكى يحقق الغاية من قصيدته ، كان يعرف أن الجنود ، وهم الذين اصطفاهم أصلا بالحديث ، من بربر صنهاجة ، ولعل بعضهم جاء إلى غرناطة من قريب ، وهؤلاء الأفارقة ليسوا مهيئين للأشعار الرقيقة ، وحظهم من العربية متواضع ، وكل ما يستطيعونه أن يدركوا الغاية منها فحسب ، وكل نصيبهم من المعجم اللغوى العربى الألفاظ ذات الدلالة الدينية ، ومع ذلك فليس مهماً : سوف يبتعد الشاعر فى هذه المناسبة عن الكلمات الغامضة ، والبحور المعقدة ، وعن الرموز الشعرية ، وعن الأوصاف والأقوال المكرورة فى مصنع الشعراء . فليأخذ من العربية أشد الكلمات قوة وصلابة ، الألفاظ التى يمكن أن يفهمها كل مسلم قادر على قراءة القرآن ، وأن يجمعها فى تراكيب سهلة غير معقدة ، وأن يرمى بها فى مقاطع عادية ومؤثرة ، كالخطوة العسكرية ، وأن تكون فى بحر المتقارب . والأفكار ؟ . . . لا شىء أكثر مما هو ضرورى : الإشارات القرآنية التى تجعل من الله شريكاً فيما يمكن أن يحدث . ولكن فى مقابل هذا ، جاء بكثير من الصور الدقيقة : هؤلاء اليهود الذين كانوا من قبل يبحثون فى الزبالة عن خرقة مهترئة يكفنون بها موتاهم ، أصبحوا الآن

يقتسمون غرناطة وأعمالها فيما بينهم ، يقبضون الجبايات ، ويتأنقون فى اللباس ، ويذبحون فى الأسواق ، ورخّم يوسف قردهم داره ، ويردف كل قولة مما سبق بنقيضها الملائم لها : وأنتم السادة الصالحون ترتدون وضيع الثياب ، أنتم المساكين الجوعى ، وهم يسرقونكم ، وأنتم على أبوابهم تتسولون » . ويذكر الملك فى خشونة غير صريحة بأن يحترم مبادىء القرآن الكريم ، ولكنه يثير العامة ، ويدفع بهم إلى القتل والنهب (٣٣) .

رفع أبو إسحاق قصيدته إلى باديس فلم يرتح منها ، وكانت ثقته فى يوسف لا حد لها ، ولكنها أثارت عاصفة من الحماسة بين البربر ، فأقسموا على القضاء على الوزير اليهودى ، وحملت الريح أبيات أبى إسحاق إلى كل أركان المدينة ، وعكف عليها الناس ينسخونها وينشدونها ويترنمون بها ، يتحينون الفرصة ليجعلوا من أفكارها واقعاً . وجاءت اللحظة ! فقد دعا يوسف ليلة السبت لعشر خلون من صفر ٤٥٩ هـ ٣٠من ديسمبر ١٠٦٦ م ، أقواماً من عبيد الأمير قد عاقدوه واتفقوا معه ، وبعضهم فى السر يشنأه ، وأعلمهم باتفاقه مع ابن صمادح ، صاحب المرية ، وأنه وارد عليهم ، وأخذ يعدد لهم ما سوف يقطعهم من قرى فحص غرناطة ، فسأله واحد ممّن أضمروا له الشر : « قد علمنا هذا ، فأخبرنا عمن أعطاك حق هذا المنح ، أهو مولانا حى أو ميت » . فرد عليه بعض حاشية اليهودى ، ووبخه على قوله ، فأنف ذلك العبد ، وخرج فاراً على وجهه وهو سكران ، يصيح بالناس ويقول : « يا معشر الناس من سمع بالمظفر قد غدره اليهودى ! وهذا ابن صمادح داخل فى البلدة » . وباديس فى هذه الحال منغمس فى بطالته ، عاكف على شرابه ، وتسامع الناس بالخبر أجمع عامتهم وخاصتهم ، وأتوا القصر عازمين على قتل اليهودى ، فتحيّل على المظفر حتى أخرجه إليهم ، وقال : « هذا سلطانكم حى ! » ، ورام الرئيس تسكينهم فلم يقدر ، بدأ الناس يتناشدون قصيدة أبى إسحاق فاتسع الخرق على الراقع ،

وهرب اليهودى بنفسه إلى داخل القصر ، فاختفى ، زعموا ، فى بيت فحم ، وسوّد وجهه حتى لا يتعرف إليه أحد ، ولكنهم ظفروا به وقتلوه ، وصلبوه على باب مدينة غرناطة . وبعدها تدفقت الجماهير على الشارع ، تتغنى بقصيدة أبى إسحاق ، وأحالوا السيف على كل يهودى ، ونهبوا متاجرهم ، وحصلوا على عظائم أموالهم ، واقتحموا بيوتهم وأخذوا ما بداخلها ، وأشعلوا النار فى هذه وتلك ، وقتل فى هذا اليوم ما يقرب من أربعة آلاف يهودى ، وأفلت من المذبحة زوجة يوسف وابنه ، هربا إلى مدينة لوشة ، وكان على الذين بقوا على قيد الحياة أن يبيعوا أملاكهم ، وأن يرحلوا عن غرناطة ، ولم تقم لليهود بعدها فى هذه المدينة قائمة (٣٤) .

يقول المستشرق الإسبانى الكبير إميليو غرسية غومث : « لعل الشعر الأندلسى لم يعرف أبداً البساطة عارية كما عرفها فى هذه القصيدة ، وفى الوقت نفسه لم ير قصيدة مثلها ، يلفها مثل هذا الإعصار من المشاعر : لقد اجتاحت أنغامها — حية متوهجة — أعماق المدينة ، مع زفير النيران ، وحشرجة الموتى (٣٥) » .

هل كانت قصيدة أبى إسحاق السبب المباشر للثورة ؟ . . ذلك ما يراه ابن الخطيب ، فى كتابه الإحاطة ، فهو يقول صراحة : « وكان مهلك هذا اليهودى بسبب شعر حفظ عنه ، يحرض صنهاجة عليه » .

ويذهب إلى هذا الرأى عدد كبير من الباحثين الأوربيين . والحق أن قصيدة أبى إسحاق كانت سبباً بين أسباب أخرى كثيرة تجمعت لتؤدى إلى الثورة ، ولعلها — إذا شئت — كانت من أقوى هذه الأسباب ، فيما يتصل بتحريض الجماهير ، والدعاية ضد الوزير ، وهى على التأكيد السبب المباشر الذى أشعل النار فى الحطيم ، وهو ما يمكن أن نستخلصه من روايات عدد من المؤرخين عرضوا للحادث غير ابن الخطيب ، ويلفت النظر أن بعضهم لم يشر إلى أبى إسحاق ، وبخاصة الأمير عبد الله ، فى كتابه البيان ، ونشر بعنوان مذكرات

الأمير عبد الله ، وكان حفيداً لباديس نفسه ، فقد التزم الصمت المطبق إزاء أبي إسحاق ، رغم أنه أمدنا بتفصيلات وافية عن هذه الأحداث .

ومهما يكن فإن هذا الانتصار الساحق لا بد أن يكون قد أدخل البهجة على الشيخ الفقيه فى أيامه الأخيرة ، فقد توفى بعد ذلك بقليل ، فى نهاية العام نفسه ، أى فى سنة ٤٥٦ هـ = ١٠٦٧م .

● الهوامش والتعليقات :

(١) الدكتور الطاهر أحمد مكى : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، ص ٤٨ ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٧٧ .

(٢) Emilio Garcia Gomez : Poemas arabigo andaluces, P. 32, 4 ed. madrid 1959 — Angel Gonzales Palencia : Historia de la Lateratura arabigo - espanola, 2ed., P. 66, Barcelona 1945.

(٣) عبد الله آخر ملوك بنى زيرى : كتاب التبيان ، وناشره ليفى بروفنسال بعنوان : مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٨ وما بعدها ، دار المعارف ، سلسلة ذخائر العرب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٥ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص ٤٠٤ .

Jose Amador de los Rios : Historia Social, Politica y religiosa de los Judios de Espana y Portugal, P. 117 ss., madrid 1960.

(٦) صاعد القاضى الطليطلى : طبقات الأمم ، ص ١٠٠ ، طبعة القاهرة .

(٧) Alegandro Diez macho : mose Ibn Ezra, P. 143 Barcelona 1953.

(٨) ابن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ج ١ ص ٤٤٦ ، الطبعة الأولى ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٥ .

(٩) دوزى ، تاريخ مسلمى الأندلس ، المجلد الثانى ، الجزء الرابع ، الصفحة ٣٠٥ ، الترجمة الاسبانية ، الطبعة الأولى ، بونس ايرس ١٩٤٦ .

(١٠) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ٢٥ .

(١١) الاحاطة ، ج ١ ص ٤٤٥ .

(١٢) المصدر السابق ص ٤٤٦ .

(١٣) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ٢١ .

(١٤) الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٤٦ .

(١٥) المرجع السابق ، ص ٤٤٧ .

(١٦) ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول ، المجلد الثانى ، ص ٢٦٩ .

(١٧) لمعرفة قيمة كتاب الذخيرة ومصادره ، انظر . د . الطاهر أحمد مكى ، دراسة فى مصادر الأدب ، الطبعة الرابعة ، ص ٢٠٧ وما بعدها ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٦ .

(١٨) الاحاطة ، ج ١ ص ٤٤٧ .

(١٩) الذخيرة ، ص ٢٧٠ .

(٢٠) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ٣٧ و ٣٨ .

(٢١) الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٤٨ .

(٢٢) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ٤١ .

(٢٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٦٥ .

(٢٤) انظر : الدكتور الطاهر أحمد مكى ، دراسات ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، ص ٩٩ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٧ .

(٢٥) الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الثانى ، ص ٢٦٦ .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٣٧٢ .

(٢٧) اميليو غرسية غومث : مع شعراء الأندلس والمتنبى ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى ، ص ٩٢ ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٩ .

(٢٨) Angel Gonzales Palencia : Historia de la literatura arabigo - espanola, P. 61.

(٢٩) الاحاطة ، ج ١ ص ٤٨٤ .

(٣٠) الاحاطة ، ج ١ ص ٢٦٨ .

(٣١) جاءت الأولى تحت رقم ٢٢ ، والثانية تحت رقم ٢٨ ، فى ديوانه الذى نشره غرسية غومث .

(٣٢) غرسية غومث : مع شعراء الأندلس والمتنبى ، ص ١٣٤ ، الطبعة الثانية ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٥ .

(٣٣) المرجع السابق ، ص ١٠٥ و ١٠٦ .

(٣٤) انظر : الاحاطة ، ج ١ ص ٤٤٨ — ومذكرات الأمير عبد الله ، ص ٥٤ — البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٦٦ — دوزى : تاريخ مسلمي اسبانيا ، ج ٢ ص ٣٦٦ ، الترجمة الاسبانية .

(٣٥) مع شعراء الأندلس والمتنبى ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى ، ص ١٠٦ .